لا...

عبد الرحمن بن أبي بكر

رضي الله عنه

لا لتوريث الحكم

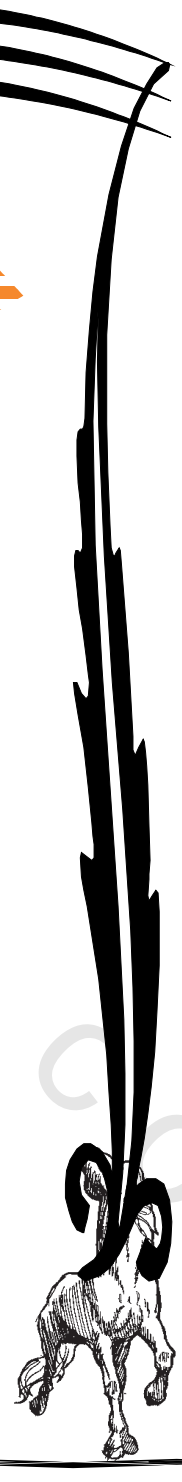

obeikandl.com

«جاء اليوم الذي سأقف فيه بسيفي أمام أبي أقاتله.. يا له من يوم عصيب ».

همس بها عبد الكعبة بن أبي بكر لنفسه قبل موقعة بدر، وقد غلبه الهم وهو يعلم أن عليه الخروج لا محالة، وتابع في حيرة قائلا:

– ماذا أفعل ؟ لقد أشعلها أبو جهل وأصر على الحرب رغم خطاب أبي سفيان له بأن قافلته قد نجت من هجوم المسلمين عليها..

كان من الممكن أن يمر الموقف.. لكن النار التي تشتعل بصدر أبي جهل، لن تهدأ حتى يقضي على المسلمين.

والمسألة بالنسبة لي أصبحت في غاية الصعوبة..

كيف أواجه أبي أبا بكر في حرب..

صحيح أنني اختلفت معه في اقتناعه بمحمد طيلة خمسة عشر عاما، لكنه كان لا يعدو اختلافا في الرأي..أما غدا فسنكون وجها لوجه بالسيف..

كيف ستقع عيني على عينيه ؟ كيف ستطاوعني نفسي أن أقف في فريق يريد أن يسيل دماءه ويقطع رأسه؟

لم يقس أبي علي يوما.. كان رحيما ودودا متسامحا متفاهما..

ربما هو نفسه الذي أدى بنا إلى هذا الموقف بأسلوبه في التربية..

لقد أراد أن يربيني على الشخصية المستقلة لا الانقيادية..علمني أن أدافع عما أقتنع به.

ثم تنهد وهو يرجع بظهره على أريكته قائلا:

– «وعلي غدا أن أدافع عما أقتنع به».

أجهدت الأفكار رأس عبد الكعبة طويلا، لكنها في النهاية لم تحتمل عدم الخروج إلى المعركة..فهو ربما يحتمل أن يقف في فريق ضد أبيه في حرب تقودها قريش، لكن طبيعته لا تحتمل أن يطلق عليه أنه جبان.

انتهى الحوار المرهق الصعب إلى النتيجة التي لا يمكن أن يكون لها بديل..

سيخرج عبد الكعبة لقتال أبيه في بدر.

ورغم اعتراضات الكثيرين قبل المعركة بعدم الخوض فيها، إلا إن «أبا جهل » بحماسه الرهيب للمعركة، استطاع أن يسيطر على الموقف لصالحه لتبدأ المعركة..

وتبدأ المواجهة.

ويطلب أحدهم من عبد الكعبة أن يخرج للمواجهة.

ويراه أبو بكر، ليفاجأ عبد الكعبة بتقدمه لمواجهته..إلا أن الرسول ﷺ يرده ويثنيه عن مقاتلة ولده.

وتدور رحى المعركة.. لتنتهي النهاية المذهلة التي لم يكن يتصورها أحد من قريش أوالجزيرة العربية كلها..

وانتصر المسلمون.

ويعود المشركون مخذولين مدحورين..

ويعود عبد الكعبة ليعاود التفكير الصعب من جديد.. والمرهق من جديد.

إلا أنه هذه المرة كان يفكر في اتجاه آخر..

وطال تفكيره..

ووصل في النهاية إلى أنه لابد أن يخرج من مكة من جديد.

ولكن هذه المرة لا ليحارب أباه ومحمدا..

ولكن لأمر آخر.. تأخر كثيرا طيلة خمسة عشر عاما..

أخيرا آن الأوان لأن يقف هو وأبوه في فريق واحد.

أخيرا سيسلم ابن رفيق رسول الله ﷺ.. عبد الكعبة.

ابن أبي بكر.

* * *

ربما كان من المواقف الشديدة الغرابة، أن يظل ابن أبي بكر غير مقتنع بدعوة الرسول ﷺ طيلة هذه الفترة، رغم تضحيات أبيه أبي بكر وصحبته المخلصة للرسول ﷺ التي فاقت كل وصف.

إلا أنها النفس البشرية المحيرة، التي لا يعرف أسرارها إلا خالقها.

وكانت مشيئة الله أن يسلم ابن أبي بكر – أول من أسلم من الرجال – بعد كل هذه السنوات.

وفي المدينة.. يبتسم أبو بكر له ابتسامة الأب الذي يعرف ابنه، ويعرف أنه يوما ما سيعود إليه مهما طال الوقت.

وكانت الخطوة التالية..هي أن يغير الرسول ﷺ اسمه، ليصبح..

عبد الرحمن بن أبي بكر..

نعم.. هكذا تستقيم الأمور وتدخل حيز المنطق، ليبدأ عبد الرحمن رحلته الجديدة في الاتجاه الصحيح محاولا أن يعوض ما فاته.

obeikandl.com

وفي الرحلة الجديدة، لم يكن عبد الرحمن ليتخلف عن غزوة يبغي فيها الشهادة ورفع راية الإسلام.

إلا أن نفسه لم تزل مشتاقة إلى شيء كبير، يشعره بأنه قد سدد شيئا من دين كبير عليه.

وتمر السنوات حتى يلقى الرسول ﷺ ربه.

وبعدها بشهور، جاء الموقف الذي ينتظره عبد الرحمن..

في موقعة اليمامة.

* * *

يتولى أبو عبد الرحمن الخلافة بعد الرسول ﷺ، ليقود حملة قاسية لا تعرف اللين ضد جيوش المرتدين. ويخرج عبد الرحمن تحت قيادة خالد بن الوليد في أعنف معركة شهدتها حروب الردة.

معركة اليمامة.

ويفاجأ المسلمون بقوة جيش مسيلمة الكذاب، ونائبه «محكم بن الطفيل» والعقل المدبر له، ليضطرب الصف المسلم بشدة في ظل تفوق واضح لجيش مسيلمة.

إلا أن «خالد بن الوليد» يتدخل في الوقت المناسب، ويعيد تنظيم الصفوف ويرفع من الروح المعنوية للجنود، لتتحول المعركة لصالح المسلمين، ويضطر جيش مسيلمة للتقهقر والدخول داخل حديقة محصنة للاحتماء بها.

ويحاصر المسلمون الحديقة دون أن يجدوا طريقة لفتح الأبواب، ويقف «محكم بن الطفيل» بقوته أمام أكبر الحصون وأقواها.

ويدرك عبد الرحمن أن قتل الطفيل سيفتح ثغرة كبيرة في الحصن العتيد، ربما يتبعها فتح باقي الحصون.

وقد كان..

وبشجاعة منقطعة النظير وبخفة حركة بالغة، ينقض عبد الرحمن على محكم بن الطفيل ليتمكن من قتله، ويتفرق الجنود من حوله ويحدث خلل كبير بقواته، لينفتح الحصن ويدخل منه المسلمون ليجهزوا على جيش مسيلمة في انتصار كان في غاية الصعوبة للمسلمين.

ويعود عبد الرحمن إلى المدينة لأبيه وعلى وجهه ابتسامة تعني النصر..

وتعني شيئا آخر يفهمه أبو بكر، ويفتخر به ابنه..

لقد بدأ عبد الرحمن يسطر تاريخ جهاده في الإسلام بحروف من نور.

ولم يكن هذا الموقف هوأخر جهاده.

إنما سيظل التاريخ يذكر له موقفا في غاية الشجاعة والوعي والثبات.

موقفه التاريخي..

مع معاوية بن أبي سفيان.

* * *

«الخليفة معاوية بن أبي سفيان، يريد أخذ البيعة لابنه يزيد».

نادى بها مروان حاكم المدينة المفوض من قبل معاوية بن أبي سفيان، والذي أراد أن يورث ابنه الحكم من بعده، لاغيا بذلك نظام الشورى الذي دأب المسلمون عليه في اختيار الخليفة منذ عهد أبي بكر.

كان معاوية يعلم أن قبول المسلمين للفكرة أمر أشبه بالمستحيل، خصوصا وأن ابنه يزيدكان غير جدير بالحكم.

وإزاء ذلك.. أراد معاوية أن يجبر المسلمين عليها، وأسند إلى مروان حاكم المدينة، أن يعلن عن قراره في المسجد أمام الناس.

وما إن سمع عبد الرحمن بن أبي بكر بيان مروان، حتى انتفض من مجلسه وقال في ثورة وغضب:

والله ما الأخيار أردتم لأمة محمد، ولكنكم تريدون أن تجعلوها هرقلية.. كلما مات هرقل، قام هرقل.

لقد أدرك عبد الرحمن بن أبي بكر حجم الكارثة...

ولم يكد عبد الرحمن يصرخ بهذه الكلمات في المسجد، حتى أيده فريق من المسلمين على رأسهم الحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر..

ودعت ظروف عصيبة، إلى أن يصمت الحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر..

إلا أن عبد الرحمن استمر في ثورته على هذه البيعة وإشاعة بطلانها بين الناس..

ويأتي مندوب معاوية إليه ويعرض عليه المال، وعندها يصيح عبد الرحمن في وجهه في غيظ شديد، ويلقي الأموال بعنف على الأرض وهو يقول:

ارجع إليه وقل له: إن عبد الرحمن لا يبيع دينه بدنياه.

إلا أن الأمور تسير رغما عن الجميع في نفس الاتجاه الذي يريده معاوية..

وعندما تصله الأخبار بقدوم معاوية إلى المدينة، كان هو يعد العدة للرحيل..

إلى مكة..

وما إن اقترب من مشارف مكة، حتى فاضت روحه إلى بارئها..

ليحمله الناس على الأعناق..

وكيف لا.. وهوالذي حاول الوقوف أمام كارثة ستحيق بالإسلام والمسلمين..
اسمها توريث الحكم..
لازلنا نكتوي بنارها..
حتى اليوم.

* * *

obeikandl.com

دروس وتحليل

١- لا يعرف سر النفس البشرية إلا خالقها، والنظام الرباني هوالنظام الوحيد الذى يستطيع التعامل مع هذه النفس بنجاح (أبو بكر الصديق لا يفلح في إقناع ابنه عبد الرحمن بالإسلام).

موقف عجيب جدا أن يظل عبد الرحمن بن أبي بكر طيلة تسعة عشر عاما غير مقتنع بالإسلام، وهو ابن أبي بكر الصديق، وكلنا يعرف من هوأبو بكر الصديق ومكانته في الإسلام وعند الرسول ﷺ وعند الله..

شيء غير متوقع بالطبع.. كما أنه من غير المتوقع أن نجد فنانا أو فنانة، لطالما مارسوا الرذيلة ودعوا الناس إليها، ثم نجدهم فجأة في أحضان التوبة وقد عمرت قلوبهم بالإيمان.

إنها النفس التى خلقها الله، وهوالوحيد الذي يعرف أسرارها ويعرف كيف تسير، ولقد وضع لها منهجا، هوالمنهج الوحيد القادر على قيادتها دون اضطراب أو خلل.. المنهج الرباني.

أي منهج آخر لن يناسبها وسيسبب لها مشكلات على المدى القريب أوالبعيد، وستحدث مشكلات لا حصر لها ولا أول لها من آخر، ثم نجلس لنفكر في الأسباب، فنتوه ونتخبط ولا نصل إلى حل.

إن الأمر لا يحتاج إلى فلسفة أو تعقيد..الله هوالذي خلق الإنسان، فلابد أن يسيره الله كما يشاء.. لا كما يشاء غيره.

٢- الإسلام لا يريد أن تحتد العلاقة بين الآباء والأبناء حتى ولو كان الخلاف في العقيدة (الرسول ﷺ يمنع أبا بكر من أن يقاتل ابنه عبد الرحمن في بدر).

كان من الأمور المؤلمة التى عانى منها المسلمون والتى سببت اضطرابات نفسية كبيرة: الخلاف بين الآباء والأبناء في العقيدة، فابن مسلم وأب كافر، أو ابن كافر وأب مسلم. ولذا.. كان صعبا على الرسول ﷺ وعلى الإسلام نفسه، أن يواجه الأبناء والآباء كل منهما الآخر في معركة حربية، يريد كل فيها كل طرف أن يقتل الآخر، لولا أن الدفاع عن العقيدة مقدم هنا على كل شيء.

أما في مواقف الحياة اليومية، فاحترام الأبوين واجب حتى وإن كانا كافرين، وطاعتهما لازمة في غير معصية الله.

إن الإسلام لا يريد أن يفرق الأسر ويشتت المجتمع، بل يريد لم شمل الجميع بقدر الإمكان، ويدعو في سبيل ذلك إلى احترام حرية العقيدة.. فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.

٣- التوريث مرض جديد يدب في جسد الأمة العربية، سيهوي بها أكثر مما هوت (عبد الرحمن ابن أبي بكر يعارض توريث معاوية لابنه يزيد الحكم).

كان عبد الرحمن بن أبي بكر شجاعا في مواجهة الإسلام قبل إسلامه، وكان شجاعا أيضا في

نصرته والدفاع عنه بعد إسلامه، ولقد وجد أن الإسلام في خطر شديد، عندما بدأ معاوية في مخطط التوريث لابنه يزيد وقف في وجهه قدر ما يستطيع.

إن التوريث يعنى المزيد من القهر والظلم والفساد، ويعنى دفن الكفاءات والمواهب، ويعنى ضياع العدل والحق، إنه يعنى ببساطة ضياع دماء آلاف الشهداء الذين استشهدوا من أجل قيام دولة إسلامية مدنية، تأتمر بالشورى وتحاسب حاكمها وترتكن في سياستها للنظام الانتخابي.

كان عبد الرحمن بن أبي بكر وغيره يرون ذلك، ولكنه لم يستطع هو ولا غيره أن يوقفوا ما حدث.

وتولى يزيد الحكم بعد معاوية وقتها..

وسيتولاه غدا !

* * *

obeikandl.com